أدب إبراهيـــم الخيـــاري في رحلته "تحفة الأدباء وسلوة الغرباء"

١٠٣٧ـــ ١٠٨٣هـ

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب. جامعة الملك سعود .

أعدها الطالب
حسن بن جابر بن سليمان الـــمَدَري الفَيْفي

إشـــراف
الأستاذ الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك

شهر ربيع الأول – سنة ١٤٢٦هـــ الموافق نيسان أبريل – سنة ٢٠٠٥م

ملـــــــــخص

تنطلق أهمية هذا البحث من كون هذه الرحلة لم تُدرس من قبلُ دراسة تبحث الجوانب الأدبية فيها؛ إذ لا توجد - فيما أعلم - دراسة سابقة تناولت رحلة الخياري من هذا الجانب. وكل ما وجدته من دراسات حول هذه الرحلة هو مقالات يسيرة في بعض المجلات، تناولتْها جميعا من جوانب غير فنية.

ولذا فقد اعتمدت على خطة اشتملت على تمهيد وأربعة فصول؛ ففي التمهيد ترجمة الرحالة وبعض خصائصه وما قاله عنه النقاد. وفي الفصل الأول الأوضاعُ العامة للقرن الحادي عشر الهجري. وفي الفصلين الثاني والثالث تناولتُ أدب الخياري بشقيه الشعري والنثري محاولا إبراز خصائصه الأدبية في هذين الفنّين. بينما كان الاهتمام في الفصل الرابع منصبا على أثر ثقافة الرحالة الأدبية في أدبه. وقد اعتمدت بشكل أساس على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي قمت من خلاله باستقراء النصوص وتحليل بعضها بوصفها نماذج لغيرها.

هذا، ويمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط التالية:

١- أن الظروف المختلفة، كانت قد أدت إلى تراجع مهول في التعليم، فقلّ المتعلمون، وتدنى المستوى المعرفي لدى الشعب العربي، وضعفت اللغة الفصيحة، ليس لدى العامة فحسب، بل لدى المثقفين أيضا، يظهر ذلك جليا في المؤلَّفات، ومنها رحلة صاحبنا، رغم أنه معدود ضمن علماء عصره.

٢- كان الارتباط في تلك العصور بين العلمية والشعر الفصيح وثيقا؛ إذ لا يكاد يوجد شعر فصيح مدوَّن لغير العلماء، وأحس كثير من العلماء أنهم لا بد أن ينظموا الشعر، ما داموا قد عرفوا أوزانه وبحوره وعيوبه، فكثر شعر العلماء، وانحسر الشعر الإبداعي الفصيح. وأدى هذا الارتباط بين الشاعرية والعلمية إلى تواري أعداد لا حصر لها من الشعراء الحقيقيين غير المتعلمين (العاميين)، لعدم قدرتهم على مراعاة نواميس اللغة والسَّنَن الشعري للعرب القدماء بشكل يرتضيه النقاد (العلماء).

٣- أن الصور الفنية لدى الخياري تعبر عن روحه المرحة المتفائلة، كما أن كثيرا من صوره التي يصور بها مظاهر الطبيعة تحيل على الجمال والأنس والمسرة، وأن المرأة ومفاتنها الحسية تشكل بؤرة تتمحور حولها مرجعية عدد غير قليل من الصور الفنية غير الإنسية. وأنه نادرا ما أورد صورا توحي بالتشاؤم أو التذمر أو الضيق، وما جاء منها معبرا عن مثل هذه المشاعر فإنه ينطبع في عمومه بطابع الفكاهة، أو تلتمح في بعض أطرافه لُمَحٌ من مظاهر الأنس التي يسبقه قلمه لتدوينها.

٤- أن التجديد والبعد عن التقليدية كانا يشكلان هاجسا يؤرق الرحالة، غير أنه في معظم نصوصه لم يستطع ترجمة ذلك الهاجس إلى واقع ملموس؛ إذ يمكن القول: إنه بقي بصورة عامة في دائرة التقليد؛ سواء في الأغراض الشعرية، أو في الصور الفنية، أو في الأسلوب الكتابي.

٥- أنه في معظم كتاباته النثرية، يعتمد في أسلوبه، كغيره من معاصريه، على السجع ومراعاة الفاصلة، ولكن القارئ المنطلق من خلفية أن النثر العربي قد بدأ في الانحدار مبكرا، يجد العديد من نصوص الرحلة سلسة منسابة، إما لخلوها من السجع واعتمادها على الأسلوب المرسل، وإما لإحساسه (القارئ) بأن الكاتب لم يتكلف السجع، وأن اهتمامه بالمعنى والفنية كان مقدما على اهتمامه باللفظ. ولكن هذا لا يعني براءة الرحالة من التكلف مطلقا؛ إذ إننا نجد نصوصا متعددة ترسف في قيود السجع، والذي يزيد من إزعاجه إيانا كونه غير معهود في النماذج التي نميل إلى مطالعتها، العائدة بشكل أساس إلى القرون الأربعة الهجرية الأوَل، وإلى العصر الحاضر أيضا.

٦- كان الأدب في ذلك العصر مسرحا لاستعراض الثقافة العربية بشتى جوانبها، وكان الخياري أحد أبناء عصره الذين سعوا إلى إثبات ذواتهم الثقافية من خلال أدبهم، وقد تنوعت الأساليب التي عرض بها مخزونه الثقافي ما بين نصوص يتم إيرادها على سبيل الاشتشهاد وتقوية رأي معين، وما بين تداخل نصوصي مقصود مع النصوص المتقدمة (وهذا الأخير هو الذي تم تركيز الباحث عليه). ولم يكن الكاتب على مستوى واحد في تعامله مع النصوص التي تداخل معها، فتارة يُظهر تميزا مشهودا، وتارات يبدو التداخل وبالاً على نصوصه. وفي بعض مظاهر التداخل التي تلوح فيها نبرة التحدي للقدماء، يلاحظ القارئ أن النصوص القديمة تظهر في حلل بهية وكأنه لم يرها من قبل، مع أنها ليست غريبة عليه، والسبب في مظهرها الجذاب هو وضعها بإزاء النص المحدث الذي لم يرقَ إلى مستواها، وبذلك أصبح يؤدي دور الدعاية للنص القديم وصاحبه. ولكن هذا الحكم ليس مطّردا على أي حال.

أدب إبراهيـــم الخيـــاري في رحلته "تحفة الأدباء وسلوة الغرباء"

١٠٣٧ـــ ١٠٨٣هـ

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب. جامعة الملك سعود .

أعدها الطالب

حسن بن جابر بن سليمان الـــمَدَري الفَيْفي

إشـــراف

الأستاذ الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك

شهر ربيع الأول – سنة ١٤٢٦هـ الموافق نيسان أبريل – سنة ٢٠٠٥م

المـقـــــــــــدمة

بسـم الله الرحمن الرحيـم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله

يلحظ المتتبع لكتب الرحلات في الماضي أنه يجمعها إطار واحد هو الوصف، ذلك أنّ أصحابها يمرون بمواقف متشابهة، فكل منهم يحاول إطلاع القارئ على مشاهداته أثناء الرحلة. وهذه المشاهدات في الغالب هي مما يحمل الطرافة أو الغرابة أو المعلومة الجديدة، وقد لا يهتم معظمُ القرّاء بالرحلة إن لم تكن تحوي هذه العناصر. ولكننا من جانب آخر نلاحظ أن هذه المصنَّفات، مهما اتفقت في الإطار العام، فإنها تتمايز عن بعضها تبعاً لتمايز مصنِّفيها، فبعضهم يهتم في رحلته بالمواقع الجغرافية والآثار وتحديد المواقع والمسافات ونحو ذلك. وآخَر يوجه اهتمامه إلى النواحي الاجتماعية وما تشتمل عليه من عادات وتقاليد وأديان وطبائع ...إلخ. وثالث يغلّب الجانب الأدبي؛ إذ يبدو مهتمّاً بتتبّع ما قيل أو كُتِب عن موضع ما، أو قطر، أو ناحية، أو موقف معيّن... من أشعار وأقوال مأثورة. كما يُلاحَظ حرصُه على لقاء الأعلام من العلماء والكتّاب والشعراء والنقاد، من أجل محاورتهم، وإسماعهم، والسماع منهم، مع اهتمامه بتدوين بعض النصوص المختارة من أشعار الآخرين المتقدمين والمعاصرين وكتاباتهم؛ إما للاستشهاد بها، وإما لمعارضتها، وإما لإظهار سعة ثقافته وقوة حافظته، وإما لكل ذلك وغيره. وهناك من يهتم بجوانب أخر غير ما ذكر؛ إذ إن ميول صاحب الرحلة وثقافتَه لهما أكبر الأثر في تغليب جانب على آخر. وقد يوجد من يحاول التوازن في مؤلَّفه بحيث لا يغْلِبُ اتجاهٌ على غيره، ولكنهم قلّة على أي حال.

وأزعم أن إبراهيم الخياري المدني الذي عرفناه عبر رحلته المسماة (تحفة الأدباء وسلوة الغرباء)[1] هو من النوع الثالث المذكور هنا، ولذا اتخذت رحلته موضوعا لبحثي[2].

وتنطلق أهمية البحث من كون هذه الرحلة لم تُدرس من قبلُ دراسة تبحث الجوانب الأدبية فيها؛ إذ لا توجد - فيما أعلم - دراسة سابقة تناولت رحلة الخياري من هذا الجانب. وكل ما وجدته من دراسات حول هذه الرحلة هو مقالات يسيرة في بعض المجلات، تناولتْها جميعا من جوانب غير فنية.

وقد يكون محمد الفاسي في مقاله: *إبراهيم الخياري ورحلته: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء* (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، أول من سعى إلى التعريف بالرحلة وصاحبها. إلا أن هدف الفاسي من هذا المقال كان مقتصرا على عرض الرحلة عرضا مختصراً، بغية التعريف بها، وتنبيه القراء إلى أهميتها، فقد كتب هذا المقال بعد عقد المؤتمر الثالث للآثار في الرباط والذي كان الكاتب مشاركاً فيه؛ إذ يقول: "وقد كنت وقفت منذ عدة سنين على رحلة ذات أهمية بالنسبة لهذا الموضوع وذلك بخزانة غوطة بألمانيا ... وإني محاول في هذه العجالة أن أعطي نظرة عن محتويات هذه الرحلة مع وصف المخطوط وذكر الخزانات الأخرى التي تضم نسخاً منها..."[3]. إذن فهي عرضٌ للمحتويات، ووصفٌ للمخطوطات، وذِكرٌ لأماكنها .

---

[1] - الرحلة عبارة عن سِفر مكون من ثلاثة مجلدات، تحوي نحوا من ٧٥٠ صفحة. قام بتحقيقها رجاء محمود السامرائي، وحسب عباس الجراخ، فإن الجزء الأول صدر عام (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، والثاني عام (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، والثالث عام (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، دون أن يذكر الجراخ دور النشر التي صدرت عنها. انظر عباس الجراخ ص٦٥٢، وسيأتي توثيق مقاله ص١٧. أما أنا فلم أجد على الأجزاء المطبوعة الموجودة بحوزتي توثيقا لغير الجزء الأول من الرحلة، وتوثيقه هو (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ضمن سلسلة كتب التراث [١٢]، ١٩٧٩م. ودار الرشيد للنشر، ضمن سلسلة كتب التراث [٧٥]، د.ت) . أما الجزآن الآخران فلم أجد على أي منهما معلومات لمكان النشر أو تاريخه، غير أن زمن إيداع الجزء الثالث بالمكتبة الوطنية في بغداد، هو ١٩٨٠م، كما هو مدوّن بآخر صفحة منه.

[2] - كنت اسشرت أستاذي الدكتور عايض الردادي في موضوع بحثي، فتكرم بالإشارة علي بالاطلاع على رحلة الخياري، لعلها تصلح موضوعا لرسالة علمية، وبعد أن اطلعت عليها واستحسنتها، وأطّلعت عليها أستاذي المكرم الدكتور محمود الربداوي الذي كان مرشدا لي في مرحلة سابقة، والذي استحسنها بدوره، وشجعني على دراستها، عندئذ قررت اختيارها موضوعا لرسالتي بهدف دراسة أدب الخياري فيها.

[3] - المقالة نفسها ، ص١٦١. وسيأتي توثيقها ص١٧.

أما عبد القادر الريحاوي في مقاله: *رحلة الخياري إلى سورية في القرن الحادي عشر الهجري* (١٩٦٥م)، فقد اقتصر في تناوله للرحلة على الجزء الذي يخص سورية، وهو كما قال، لا يجاوز المئة وعشر صفحات من عدد صفحات الرحلة الكلي في المخطوط البالغ خمسمئة وستا وخمسين صفحة. ومع ذلك فقد استبعد الشعر كله؛ لأنه رأى أنه مما لا يهمه أمره؛ إذ هو خاص بالرحالة وحده. ولذا حصر مقاله في مناقشة ثلاث قضايا تخص سورية هي:
أ- وصف الطريق ومنازله. ب- معالم المدن القديمة وأحوال سكانها. ج- تراجم مشاهير الرجال.
وكان اهتمام الريحاوي تاريخيا جغرافيا آثاريا بالدرجة الأولى، هذا عدا أن النص الذي تناوله لا يمثل أكثر من خُمس النص الكامل كما سبق.

وكان حمد الجاسر قد كتب عنها مقالين؛ الأول منهما جعله تحت عنوان: *مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته* (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م). ومضمونُ مقاله يشير إلى أن مقصوده عرضُ الرحلة، وتلخيصُ عناصرها، بغية التعريف بها وبكاتبها؛ إذ لم يعتن بجانب معيّن من جوانبها. وإن كان قد أبدى إعجابه بها من حيث سعة المادة، وغزارتها، وتنوعها، واشتمالها على كثير من الفنون الأدبية والجغرافية والتاريخية، مع ما تحتوي عليه من تراجم كثيرة، ونصوص أدبية وفيرة[1]. ولكنها أحكام عامة جاءت متساوقة مع النظرة الشمولية للرحلة بصفتها عملا متعدد الأغراض.

أما في مقاله الثاني المسمى: *تحفة الأدباء وسلوة الغرباء* (١٣٩٠هـ-١٩٧٠)، فكان غرضه الوحيد نقدَ الجزء المطبوع من الكتاب، وهو الجزء الأول حينذاك[2]، بناء على طلب من المحقق، ولذا كان المقال كله في التنبيه على أخطاء التحقيق والنَّسْخ، ومنها بعض الأغلاط الإملائية، والمطبعية، وعدم فصل أشطر بعض الأبيات عن بعضها، مما جعل الشعر غير مميز عن النثر ... وقد وضع مسردا لبعض الأخطاء من ص ١١٠٩ إلى نهاية المقال ص ١١١٩.

ونشَرَ عباس الجراخ مقالا بعنوان: *نظرات نقدية في رحلة الخياري المسماة "تحفة الأدباء وسلوة الغرباء"* (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م). وعلى الرغم مما يبدو في مسمى المقال من إغراء؛ إذ يوحي بأن النقد موجه إلى عمل المؤلِّف، إلا أنه غير مجدٍ بالنسبة للرحلة، لأن نظراته النقدية ليست في رحلة الخياري، بل في عمل المحقق، ففيما عدا نحو خمسة أسطر في الصفحة الأولى من المقال وصَفَ فيها أسلوبَ الخياري[3]، فإن باقي المقال خاص بملاحظات تخص التحقيق، وتتركز حول أربعة محاور هي: مخطوطات الكتاب، وتخريج الآيات القرآنية، وتخريج الأشعار، وأوهام التحقيق وفواته.

ويلاحَظ على هذه المقالات أنها، وإن كانت مفيدة لمن لم يطّلع على الرحلة، ولمن يريد أن يخرج بفكرة عامة عنها وعن مؤلِّفها، إلا أن فائدتها قليلة للدارس الذي يريد تناولها بشيء من التفصيل والعمق. من هنا كانت الرحلة بحاجة إلى تناول يعتمد على نصها بشكل أساس، محاولا استنطاق كاتبها ومناقشته دون واسطة.

ولذا فقد اعتمدت في هذا البحث بشكل أساس على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي أقوم من خلاله باستقراء النصوص وتحليل بعضها باعتبارها نماذج لغيرها، غير أني سأفيد من بعض المناهج الأخرى عندما أشعر بأنها تفيد عملي وتثريه لا سيما المنهجين النفسي والإحصائي.

---

[1] - سيرد كلامه عنها لاحقا. انظر ص١٦.

[2] - يوحي مقال الجاسر هذا بأن المحقق بعث إليه بالنص بعد أن نشرته وزارة الثقافة العراقية محققا مطبوعا؛ إذ يقول عن الرحلة: "فإن هذا الكتاب جدير بأن تُعنَى به وزارة الثقافة والإعلام في العراق، وأن تنشره في كتب التراث التي قامت الوزارة بنشر سلسلة منها، بلغت بهذا الكتاب - وهو آخرها- ١٢ حلقة" ص١١٠٧. ولكن عباس الجراخ يزعم أن المحقق بعث للجاسر عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) بمَلازم الجزء الأول مطبوعة محققة، طالبا إبداء ملاحظاته حيالها، وأنه بعث نقدا مطولا، مع خلاصة جاء فيها : أن طبع الرحلة بهذه الصورة يعد عبثا يجب أن يُصان تراث الأمة عن مثله. ولكن المحقق تجاهل تلك التصويبات، ولم يرد جوابا، إلى أن طُبعت الرحلة كاملة في بغداد. بل إنه (المحقق) لم يُشر إلى مقال الجاسر في فهرس المصادر والمراجع. انظر مقال الجراخ ص٦٥٢، ويتبعها حاشية رقم ٢ ص ٦٦١ فيه أيضا. أما مقالتا الجاسر المذكورتان هنا فلم يرد فيهما ذكر للمَلازم، بل ذُكر أن الكتاب نُشر من قبل وزارة الثقافة، وأنه آخر السلسلة كما سبق.

[3] - انظر نصه هنا ص١٧.

و يتكون هيكل البحث من: تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وملحق، وثلاثة فهارس.

فأما التمهيد فقد خصصته للرحلة وصاحبها، ففيه: ترجمة الكاتب، ومنهجه في تدوين كتابه، وأقوال النقاد في الكاتب والمكتوب، وما يتعلق بذلك من أمور تخص المؤلف والرحلة.

ولأن عصر الرحلة هو القرنُ الحادي عشر الهجري، كان لا بد من معرفة مستوى الحياة الأدبية في ذلك القرن، وهذا هو موضوع الفصل الأول؛ الذي حرصتُ فيه على أن يخرج قارئُه بتصور عام عن الحياة الأدبية، وعن الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، التي نما في ظلها أدب تلك الحقبة.

وبعدَ أن تعرَّفَ القارئ على الرحلة وكاتبها، وتصوَّرَ الوضعَ الأدبي في الحقبة الزمنية المذكورة، فقد أصبح مهيَّأً لتلقي نتائج دراسة الجوانب الأدبية في نصوص الخياري، وهو ما تمّ تناوُلُه في الفصلين الثاني والثالث؛ فكان الأول منهما خاصا بالشعر، والثاني خاصا بالنثر، وفي كل منهما حَرص الباحثُ على إعطاء صورة، يرى أنها تعد مقارَبة كافية، عن المستوى الأدبي لكاتب الرحلة، سواء في مجال الصور الفنية، أو في مجال اللغة والأسلوب.

وكان الفصل الرابع مخصصا لثقافة الخياري الأدبية، وأثر تلك الثقافة في نصوصه الفنية. وذلك بدراسة كيفية تعامله مع نصوصٍ سابقة كان لها دور في صياغة بعض النصوص التي أنشأها. ولأن هذا الفصل يدرس أثرَ نصوصٍ سابقة في نص لاحق، فقد نحا نحوَ الدراسة المقارنة، ولذا كان الفصل مناسبا لمناقشة علاقة الرحالة - بصفته أديبا - بأدباء سابقين ظهر تأثير أدبهم في نصوصه، إما في مواضع جزئية من تلك النصوص عبر إشارات يسيرة تُلمح إلى نصوص سابقة، وإما في نصوص بكاملها كما هو الشأن في معارضاته لسابقيه.

وفي النهاية جاءت الخاتمة التي اشتملت على عرضٍ مجملٍ لأهم النتائج المستخلَصة، والتوصيات المقترَحة. ثم أردفتُ البحث بملحق يحوي بعض النصوص الأدبية؛ الشعرية والنثرية، التي لم يكن من المناسب وضعها في متن البحث لطولها وتنوع مواضيعها. وأخيرا أتبعتُ الملحقَ بثلاثة فهارس؛ الأول للمصادر والمراجع، والثاني للجداول الواردة في البحث، والثالث للمحتويات.

وفيما يخص <u>تحقيق الرحلة</u>، تجدر الإشارة إلى أن المحقق اعتمد على عدة نسخ مخطوطة كان أصحَّها وأجودها النسختان (د) و (ت)، كما ذكر هو في مقدمة تحقيقه[1]، وكما ذكر ذلك حمد الجاسر أيضا[2]، لأنهما كتبتا في حياة المؤلف، ووقَّعَ الأولى منهما مصححا إياها بخطه[3]. وقد قام المحقق بتصحيح بعض الألفاظ أو الجمل نحوا وصرفا وإملاءً. ولكني تجاهلت بعضا من تلك التصحيحات، وعاملتها على أساسها الأول المذكور في حواشي التحقيق إذا أحال المحقق على النسختين المشار إليهما، أو إحداهما، لأن البحث مخصَّصٌ لنص المؤلف، وليس لعمل المحقِّق.

كما أن الرحلة تعج بالأخطاء الإملائية والمطبعية[4]، ويتم في معظم الأحيان تجاهل الهمزات، وإذا وُجدَت، فإن الخلط بين همزات أوائل الكلمات لا يُراعَى فيها فتحُ الهمز وكسرُها، ويحدث ذلك أيضا مع "إنّ" و "أنّ" فيُفتح المكسور ويُكسر المفتوح، مما يجعل المفرد جملة والعكس. كما أن المحقق لا يفرق بعد القول، بين ما كان مرفوعا على الحكاية، وما كان منصوبا على المفعولية؛ إذ يشير إلى تخطئة المصنِّف عند قوله مثلا[5]: "ولا أقول: نهر"؛ بجعله إياها "نهرا"، معلقا في الحاشية بقوله: "في ت، د : نهر". ولهذه عدة نظائر في التحقيق. وقد حاولتُ، في النصوص التي اقتبستُها، التخفيفَ من اللبس الذي قد تُحدثه تلك الإيهامات، فعمدتُ

---

[1] - ١/ ١٣- ١٤.

[2] - الجاسر ''تحفة الأدباء وسلوة الغرباء،'' ص ص ١١٠٧- ١١٠٨. وسيأتي توثيق المقال ص٨١.

[3] - انظر ص٧٥ هنا.

[4] - وقد سبقت الإشارة إلى أن إحدى عشرة صفحة من مقالة الجاسر الثانية كانت مخصصة لبعض الأخطاء الموجودة في الجزء الأول فقط. وكذلك فقد ذكر عايض الردادي أن الرحلة في وضعها الحالي أسوأ من المخطوطات لما فيها من التصحيف والتحريف والأخطاء غير المتناهية. انظر الردادي، ***الشعر الحجازي***، ج١، ص١٣. وسيأتي توثيق كتابه ص٩.

[5] - ٢/ ٨٨.

إلى ضبط ما قد يُشكل على القارئ من النصوص، فإنها على العموم غير مضبوطة، وإن ما في بعضها من تقديم وتأخير وألفاظ متشابهة لفظا، مختلفة معنىً، قد تقلل من الاستمتاع بها لإمكانية عدم فهمها على وجوهها.

وفيما يخص الإحالات في البحث، فقد قمت بوضع خط مائل بين رقمي كلٍّ من الجزء والصفحة، فهذه الإحالة على سبيل المثال: (٢/ ٩٥) تعني ج٢، ص٩٥. وهذا النوع من الإحالة خاص بالرحلة دون غيرها من المراجع والمصادر. وقد أقتصر أحيانا في الإحالة على قولي: (انظر ص...)، فإذا ورد هذا النوع، فإن المراد صفحات هذا البحث دون سواه.

وبعدَ أن تمّ البحث بتوفيق الله تعالى، فإن الوفاء يحتّم عليّ تقديم الشكر والامتنان إلى كل من أعانني على إنجاز هذا البحث، وأولهم أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك، المشرف على هذه الرسالة، الذي تفضل عليّ بتوجيهاته الكريمة، وأعانني على إعادة النظر في كثير من القضايا التي عرضتها عليه، فكان تعاملُه معي تعاملَ الأب مع ولده، أو الأخ مع أخيه الأصغر، توجيها في غير زجر، وإرشادا بغير تعال. فله مني جزيل الشكر ووافر الامتنان.

كما لا بدّ لي من إزجاء الشكر والتقدير لأستاذيّ الفاضلين؛ الأستاذ الدكتور محمود الربداوي الذي أخذ بيدي منذ أن قررت اختيار هذا الموضوع إلى أن أقِرّ من لدن الجهات المسؤولة في الجامعة، وكان لي خير عون وسند في تلك المرحلة. والدكتور عايض الردادي الذي استفدت منه فوائد جمة سواء عن طريق الاستشارات الشفاهية المباشرة، أو عن طريق كتابه القيّم "*الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري*" الذي وفر عليّ عناءً كثيرا في قضايا تاريخ الأدب في ذلك القرن، وبعض القضايا الأخَر التي تطلَّبَها موضوع بحثي، هذا عدا أنه هو الذي اقترح عليّ موضوع رسالتي. فلهما مني أعطر التحيات وأوفي العرفان.

وليس من اللائق تجاهلُ الجهودِ الكبيرة التي بذلها والدايَ منذ بدأت رحلة التعليم قبل نحو ثلاثين عاما، ولا المعاناة المتكررة التي تحمّلاها من أجل النهوض بمستواي المعرفي، في الوقت الذي لم أكن أقدّر فيه ما يفعلانه من أجلي، ومع ذلك فلم ييأسا، بل ظلاّ يشدان من أزري دون كلل إلى أن تم بحثي هذا، ويبدو أنهما ماضيان في طريقهما. فجزاهما اللهُ عني خيرَ الجزاء، وأطال في عمريهما في طاعته، وختَمَ لهما بخير.

كما أنه لا يمكنني إغفالُ المعاناةِ الكبيرةِ التي كنت ألمحُها في عيني زوجتي وعيون أبنائي طيلة السنوات الثلاث التي قضيتها في هذا المشروع العلمي المتواضع؛ إذ قضوا إقامة شبه جبرية داخل المنزل في معظم الأوقات بما في ذلك الإجازات الطويلة بسبب الحرص على استثمار أطول وقت ممكن لإنجاز هذا العمل، وإني بهذه المناسبة أتقدم إليهم بأسفي العميق على تسببي في ذلك الإحساس، وبشكري الجزيل وامتناني على تلك التضحية.

والحمد لله رب العـالمين

التـــمهيـــــــــد

١- ترجمــة الخياري

١-١ اسمه ونسبه ومولده

هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن على بن موسى بن خضر الخياري المدني[١]. أصل أسرته من مصر من بلدة تُدعى الخيارية[٢]، هاجر منها أبوه سنة ١٠٢٩هـ للتدريس في المدينة المنورة التي استوطنها إلى أن توفي[٣]. وقد وُلِد إبراهيم في المدينة النبوية سحرَ الثلاثاء الثالث من شوال سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة الشريفة[٤]، ونشأ بها، ولم يغادرها إلا لهذه الرحلة وللحج.

١- ٢ تعليمه وشيوخه وثقافته

تلقى تعليمه في بلدته المدينة المنورة، ولم تذكر المصادر ولا الرحلة أنه انتقل منها لطلب العلم، وإن كان قد طلب العلم على بعض المشايخ في الأقطار التي حلها أثناء قيامه برحلته[٥]. وقد تلقى العلم على مجموعة من علماء زمنه في موطنه؛ منهم أبوه الشيخ عبد الرحمن الخياري، والسيد ميرماه البخاري المدني الحسني، انتفع به في كتب ابن عربي وغيره من كتب المتصوفة. وفي الحديث أخذ عن المحدث الكبير محمد بن علاء الدين البابلي عندما جاورَ هذا الأخير بالمدينة، وقرأ في التفسير على الشيخ محمد الرومي قاضي الحرمين المعروف بالملغري واستجاز منه، وأكثرَ من ملازمة الشيخ عيسى بن محمد المغربي، ونشأت بينهما علاقة ودية جعلت الأخير يستجيز لتلميذه من كل مَن أجازه من مشايخ مصر أثناء رحلة قام بها إليها عام ١٠٦٦هـ[٦].

وكان حرصه على طلب العلم أينما حلّ واضحا في ما كتب، فقد جعل من الرحلة فرصة للقاء العلماء والأخذ عنهم، ومن دلائل ذلك حرصه على الإجازات التي لا يكاد يخلو من ذكرها موضع يشير فيه إلى أنه لقي عالما[٧]. ومن دلائل حرصه على العلم، أنه وصل الرملة يوم الأربعاء ٢٦ رجب ١٠٨١هـ، ولم يلبث سوى ساعات معدودة، فلم يبت بها، بل غادرها بعد منتصف الليل متجها إلى البيت

---

[1] - انظر في ترجمته محمد أمين بن فضل الله المحبي، ***خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر***، ج١ (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص٢٧. و ***نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة***، ج٤، تحقيق محمد عبد الفتاح الحلو (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، ص٣٦٦. وقد ترجم له مجموعة من المصنفين، ولكن كل ما وجدته عندهم هو منقول بالنص تقريبا من المحبي في هذين الكتابين. وما تفرد به بعضهم فسأذكره في موضعه.

[2] - انظر حمد الجاسر ''مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته،'' ***مجلة العرب***، ج٣ ، السنة الثانية، (رمضان ١٣٨٧هـ)، ص ٢٢٢. وقد ذكر الرحالة أن مصر هي منشأ والده، ولم تزل بها عائلته. انظر ***الرحلة*** ٣/ ١٣٢.

[3] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٣٦٧.

[4] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٢٧.

[5] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٢٧. وقد ذكر الرحالة العلماء الذين اجتمع بهم في الشام وتركيا وفلسطين ومصر في مواضع متفرقة؛ إذ عندما يذكر حلوله ببلد يذكر من التقاه منهم. ولكن هذه اللقاءات القصيرة لا يمكن أن تُعَد من التلمذة إلا مجازا؛ إذ إن بعضها لا يتجاوز الساعة، وربما أقل من ذلك.

[6] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٢٥. وانظر مقدمة محقق الرحلة فقد أورد شيوخه المذكورين أعلاه اعتمادا على ما في الخلاصة.

[7] - انظر بعض المواضع التي طلب فيها الإجازات وأجيب إليها ٢/ ٩٤، ١٧١، ٢٠٤، ٣/ ٤٤، ٤٦، ٥٨.

المقدس (الأقصى)، ومع أنه لم يلبث بها إلا ساعات يسيرة، إلا أنه لم يجعلها للاسترواح من وعثاء السفر، بل سعى إلى تلمس علمائها، فاجتمع بشيخهم خير الدين بن أحمد الرملي الأزهري في اليوم نفسه، وقرأ عليه أحاديث، واستجازه في الرواية عنه، ثم تناشدا أشعارا، وطلب بعض تلامذة الرملي من الخياري أن يقرؤوا عليه، فقرؤوا وأجازهم. كل ذلك في السويعات التي لبث فيها في الرملة![1]. وأثناء حلوله القدس التي لم يلبث فيها سوى أقل من يوم؛ إذ صلى فيها خمسة فروض من عصر الخميس ٢٧ رجب إلى الفراغ من صلاة جمعة غده، مع قصر هذه المدة، إلا أنه بحث بحرص بالغ عن علماء يصلحون للأخذ عنهم فأعياه ذلك، ولم يقنع بمن أشير عليه بهما **"وعُيِّنَ لي شخصان، فرأيتهما لتخليص المراد لا يخلصان، فأعرضت إعراض من مُنِع الورود، ولم يفز من الروض المسجود، باقتطاف الورود، فأقمت بالمسجد الأقصى معتكفا، تاليا تارة وذاكرا أخرى"**[2]. ويلاحظ اهتمامه بالكتب بباب البادستان (مبنى كبير به مجموعة من الدكاكين)؛ إذ لم يمر عليها دونما إشارة تدل على الإعجاب، فالنسخ متكررة، والعناوين كثيرة في المنظوم والمنثور، لدرجة أن المرء يستطيع جمع عدة خزائن من الكتب في يوم واحد[3].

أما ثقافته فإن الرحلة تشي بتضلعه في العلوم العربية والإسلامية، واطلاعه على كثير من دواوين الشعر العربي المتوافرة في بلده، ولا شك أن تنوع المشايخ وكثرة الاطلاع قد وفرا له ثقافة عالية أكسبته احترام العلماء والأدباء على حد سواء.

١-٣ مذهبـــــه

الخياري سنيّ المعتقد، شافعي المذهب[4]، وكان له اهتمام بالتصوف مثل كثير من علماء زمنه، فالعصر الذي نشأ فيه كان عصرَ الصوفية الذهبي، ولذا كانت الرحلة معرضا لكثير من مصطلحات الصوفية؛ كالشريعة والحقيقة والحُجُب والكشف والتجلي والمدد والقطب والشهود وما شابهها. وكان له احتفاء خاصٌّ بأعلام الصوفية أحياء وأمواتا، ومن أهمهم ابن عربي **"مولانا الشيخ الأكبر، ذي العرف الأعطر؛ شيخ الطريقة بلا دفاع، ومعدن الحقيقة والشريعة بالإجماع..."**[5].

١-٤ وفاتـــــه

لم تطل سعادته بما تحقق له في رحلته؛ إذ لم يلبث بعد عودته إلا نحو تسعة عشر شهرا وأربعة أيام، فقد كانت وفاته في ٢ رجب من عام ١٠٨٣هـ، ولم يكمل السادسة والأربعين من عمره، وكانت المدة التي قضاها بعد عودته تقرب من المدة التي قضاها في رحلته، وقد دفن بالبقيع رحمه الله[6]. وذكر المحبي سبب وفاته قائلا: **"قيل سبب موته أن شيخ الحرم المدني ألزم أئمة الشافعية وخطباءهم أن يسرّوا في الصلوات بالبسملة كالحنفية، فلم يمتثل الخياري، وقال: هذا الأمر ليس إليك، فدسّ إليه من سقاه السم"**[7]. وهذا الخبر مسوق بصيغة تفيد الظنية التي هي أقرب إلى الإشاعة منها إلى الحقيقة، ولكن

---

[1] - انظر ٢/ ١٧٠- ١٧٢. وحدث في الخليل وغزة مثل ما حدث في الرملة؛ إذ لم يلبث في الخليل سوى أقل من أربع ساعات، ولم يذكر أنه صلى فيها غير العصر، وفي غزة لبث ٢٤ ساعة من الفجر إلى الفجر، أفرد ساعاته كلها أو جلها في البلدتين للعلم. للاطلاع على البلدان المهمة التي دخلها الخياري ومواضعها في الرحلة، انظر الجدول رقم ١١ في الملحق ص١٧٦.

[2] - ٢/ ١٩٤.

[3] - انظر ٢/ ١٠٠.

[4] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٢٥، ٢٨. والرحالة يذكر ذلك في مواضع من رحلته، انظر مثلا: ٣/ ٨- ٩ ، وبائيته التي أنشأها عند ضريح الإمام الشافعي في مصر، والتي يصرح فيها في البيت رقم ٢٠ بأنه مقلد له. البائية في ٣/ ١٥.

[5] - ١/ ١٣٥، وقد استغرق الحديث عن ابن عربي وحده من مساحة النص المحقق نحوا من ثماني صفحات.

[6] - انظر ***خلاصة الأثر***، ج١، ص ص ٢٧- ٢٨. وردد المترجمون هذه المقولة عن المحبي.

[7] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٢٨.

ذلك لا يعني نفي حقيقتها، فربما كانت حقيقية لأن الرحالة قد ألمح في إحدى قصائده إلى أن له حسادا يستفيدون من كلامه ويدونونه في دفاترهم، ثم يتنكرون لفضله، ويغمطونه حقه، ولئن كان **"الترب من شأنه أن يستر التبرا"**[١] فإنه لا يلغي قيمته. وقد رأى حمد الجاسر أن السبب الذي ذكره المحبي غير مستبعد، بسبب ما توفر للخياري من الجاه والحظوة لدى رجال الدولة العثمانية، وربما تكون صلته بهم دفعته إلى النظر إلى شيخ الحرم المدني بأقل مما كان يتطلع إليه مما أغاظه ودفعه إلى تدبير المكيدة له[٢].

٢- تديّنـــه

لن يستطيع قارئ الرحلة الخروج بصورة متكاملة عن تديّن صاحبها إلا عن طريق قراءة نصها كاملا، ذلك أن قراءة مجتزأة قد تقوده إلى تصور غير دقيق في هذا الصدد، فبعض النصوص تشير صراحة أو ضمنا إلى وَرَع وزهد لا مثيل لهما، في حين تُظهر نصوص أخر تحررا وانفلاتا غير مُتَوَقَّعيْن من عالِم فقيه ومحدِّث وخطيب بالمسجد النبوي الشريف. ويمكن أن يستنير القارئ بالبيت الذي استشهد به كاتب الرحلة[٣]، والذي يفسر منهجه في طرفي التدين هذين، وهو قول الشاعر:

فللّـــــه منـــــي جانـــــبٌ لا أضـــــيعه وللهْـــــو منـــــي والخلاعـــــةِ جانـــــبُ

فأما جانب التدين فيمكن ملاحظته في عدة مواضع منها: أنه جاور بمكة سنة ١٠٥٩هـ وسنُّه إذ ذاك ثنتان وعشرون سنة[٤]. وأنه في سفرته هذه كان يشغل ليله بالتهجد، وتلاوة القرآن، مع حرصه على ختم القرآن عدة مرات، وانشغاله عن الحديث غير المفيد بالتلاوة أثناء المسير[٥]. وأنه خالف رفقته، فعدل عن التيمم إلى الوضوء من ماء جارٍ شديد البرودة، معللا ذلك بأن الأجر على قدر النصب[٦]. واعتذاره عن تلبية طلب بعض الوجهاء أن يؤدي الخطبة في أحد جوامع استانبول لعدم رغبته في اعتلاء منبر غير منبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وتعليله قبول ذلك فيما بعد بأن هذه دار الخلافة وهي تلي دار النبوة[٧]. وسخريته مما أشاعه المنجمون من توقع حدوث زلزلة ما بين الخامس عشر والعشرين من رمضان، وعدم إيمانه بذلك الادعاء، وعَجَبه ممن صدّق ذلك، فنقل أمتعته، وَوَصْفُه إياه بالجهل وقلة العقل، لإخبار الرسول بكذب المنجمين[٨]. وسعادته البالغة عند صدور الأوامر بإغلاق حانات الخمر، وثناؤه على السلطان العثماني لاتخاذه ذلك القرار وتشديده فيه، وحكايته، بشيء من الشماتة، حال أصحابها ومدمنيها عندما سُكبت في الطرقات وفي مياه البحر[٩]. وإشادته، في حديثه عن بيت المقدس، بصنيع القائمين عليه في إفرادهم مصلى خاصا بالنساء؛ لأن ذلك يمنع اختلاطهن بالرجال المنهي عنه شرعا[١٠]. وإعلان عدم رضاه عن تزيين الجوامع في تركيا بالذهب والأصباغ؛ لأن ذلك يشغل المصلين عن العبادة، إلا أن الذي خفف من كراهية ذلك عنده هو كونها شجىً في حلوق الأعداء، وغصة في قلوب المعتدين[١١]. ولشدة شوقه إلى معاهد الرسول عليه الصلاة والسلام، اتجه فور دخوله طيبة إلى المقام

---

[1] - انظر القصيدة المكونة من ١٣ بيتا ٢/ ١٤٧. ومع أن معظم المشهورين يدّعون حاسدين قد يكونون متوَهَّمين، إلا أن هذا التأويل لنص الرحالة يكتسب مشروعيته من خبر المحبي، فالنص والخبر يرفد أحدهما الآخر.

[2] - ''مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته،'' ص٢٣٣.

[3] - ٣/ ٩١. وانظر تصريحه بعدم خشيته من لوم اللائمين بقوله: "فخذ ما صفا لك من وُدِّه... ولا تخشَ عارا ولا أن يُقال" ٢/ ٤٧.

[4] - ١/ ٢٠١. وهذه المرحلة العمرية هي مرحلة ميعة الشباب والطيش، وكون الشخص يجاور في هذا السن فإن ذلك يدل على توجه ديني مبكر.

[5] - انظر أمثلة لذلك في ١/ ٥٢، ٨٢، ٨٤، ٩١، ١٩٢، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٩ و ٣/ ١٩٢.

[6] - ١/ ٢٩١.

[7] - ٢/ ١١- ١٢.

[8] - ٢/ ١٢.

[9] - ٢/ ٨٤- ٨٧. ومع أننا لا نكاد نجد شاعرا من مجايليه يخلو ديوانه من الخمريات سواء في قصائد قائمة بذاتها، أو في بعض المقدمات الافتتاحية، إلا أن الرحالة لم يورد الخمر في أدبه لا شعرا ولا نثرا سوى في معرض ذم كما هو هنا.

[10] - ٢/ ١٨٩–١٩٠. فهو في مذهبه الشافعي لا يجيز خروج العجوز - فضلا عن غيرها - إلى المسجد، إلا بشروط ذكرها هناك.

[11] - ٢/ ١١.

النبوي الشريف، لا يلوي على أهل ولا ولد، للسلام على الحبيب، ولثم أعتابه، وتمريغ الخدود في مقامه الطاهر[١].

وأما جانب التحرر فنجد له شواهد متعددة منها: نصوصه الشعرية والنثرية التي يصف فيها مرتادات الحمامات العامة، ذوات الأدراف الضخمة، والرمان الصدري، معلنا ظمأه لماء وَرْد خدودهن، وشوقه لمشاهدة كثبانهن التي تحويها أُزُرُهن عندما تسقط في خلوة[٢]. وفي أحد جوامع مصر يحكي شعوره نحو المصريات الحسان اللواتي سلبن لبّه بسبب " **أمواج أرداف تمور في بحور السراويل، فلا تطفي - مع ارتجاجها كالماء - حرّ الغليل، بل تذكّرني من الحبيب نار الخليل**"[٣].

ويرى بعض الباحثين" **أن الهنة الكبرى للخياري والتي ما كان له أن يسقط فيها هي وصفه لغلمان الروم**"[٤]، ذلك الوصف الذي وصل في بعض النصوص إلى مراحل متقدمة من التحرر شعرا ونثرا، ولعل أوضح مثال في هذا الجانب يتبدى في حديثه على الدلاكين في أحد حمامات مدينة "سلانيك" أو "سنانيك" التي يقول: إنه سمع اسمها بالروايتين، إلا أنه استحسن الثانية لغرض في نفسه ظهر بين طيات تعليقه؛ إذ يقول عنهم، بعد تشبيههم بالفضة والثلج، ووصفهم بالنعومة: "**ولا بدع في ظهور السنا فيهم، وإشراقه من عندهم؛ إذ السنا بعض اسم بلدهم، ولولا الإشباع في باقيه، لكانت أمرا بما حالهم يقتضيه**"[٥].

وقد تجتمع في بعض النصوص الدلالتان؛ دلالة التدين، ودلالة التحرر، وذلك عندما يحكي غزله بالجنسين في مواضع العبادة وأوقاتها وما يشبهها؛ كحديثه الغزلي عن بعض مرتادي الجامع الأموي[٦]. وعن بعض الآمّين لجامع كبير في استامبول، ممن حرص على التلذذ بمشاهدهم قبل الخطبة وبعدها[٧]. وعن الجموع المتجهة في القوارب لزيارة قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، الذين حكى مشاعره الجياشة نحوهم في حالي الذهاب والإياب[٨]. ومنها أسفه - بسبب وجوده في تركيا - على تغيّبه عن حضور الاحتفالات التي تحدث في المدينة المنورة في النصف من رجب، والتي يُزار فيها شهداء أُحُد. ولكن أسفه، كما يبدو من النص، لم يكن على فوات الاحتفالات الدينية، ولا على التغيب عن الخروج إلى أُحد للزيارة فحسب، بل على ما يحصل في تلك الأيام والليالي من الأنس بمشاهدة الحسناوات الخارجات مع القوم، ولذلك تُعدّ تلك الأيام – كما يقول - في العمر من غرر الدهر، لأنه يحدث فيها لقاء

---

[1] - ٢١١/٣. وهو يتبع في ذلك الصنيع السنة، فالسنة لمن يدخل البلد أن يبدأ بالمسجد، ودار الرسول أولى بتطبيق سنته.

[2] - المقطوعات الشعرية في ١/ ٢٤٨- ٢٤٩. وانظر وصفه للتركيات في نص نثري يحكي فيه خروجهن لمشاهدة موكب السلطان ١/ ٣٤١. وانظر حديثه عن المجلس الآنس ص ص٩٥- ٩٦. ويمكن لمتصفح الرحلة الاطلاع على ما كتبه عن مجلسهم في باسطية دمشق، ذلك المجلس الذي أوشك، بسبب ما فيه ومن فيه، أن يحكم **بالطيش!**. انظر النص والأبيات ١/ ١٤٣- ١٤٤.

[3] - ٣/ ٩٠. و"الخليل" هو تورية، ليذهب القارئ إلى أن المراد به: الصاحب، بسبب وجود لفظ الحبيب، بينما يريد به إبراهيم الخليل عليه السلام، فهي رغم حرقتها برد وسلام، لأن العاشق يستلذ بعذاب العشق. ويبدو أن أمواج بحور السراويل تسبب له إثارة تخييلية غريبة؛ إذ يكررها في موضع آخر مثنيا على المراجيح التي تظهر اظطرابها بشكل جلي ماتع. انظر ٩٥/٣.

[4] - عايض الردادي، ***الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري***، ج١ (الرياض: نشره المؤلف، ١٤٠٤هـ)، ص٤٦٤.

[5] - ١/ ٢٦٩. أي لولا الإشباع في باقي لفظ "سنا"، وهو "نيك" [إذ أُشبعت الكسرة بمدّها حتى أصبحت ياء] يعني أنها لو بقيت دون إشباع بأن كانت "سنانِك" لكان منطوق الباقي "نِك" فعل الأمر من " ناكَ " !. انظر حديثه على اسمي "سلانيك" في ١/ ٢٦٧. وانظر أيضا حديثه عن تبرئة آية الشعراء لمثل هذه المقالات ١/ ٢٦٩. مع أنها، على فرض صحة تبرئتها إياهم، لا تبرّوه هنا بالذات لأن المكتوب نثر لا شعر !.
ومن ذلك ما نجده في ٢/ ٨، من تعجّبه - عندما أخبر أحد الغلمان مولاه برؤية هلال رمضان - كيف يأتي بدرٌ ليخبر عن الهلال، مع أن الهلال يسبق البدر فهو أحق بالإخبار، والأولى أن يكون المخبَرُ عنه هلالَ الإفطار ليتسنى ارتشاف الخدود ذات التورد التي توجب رؤيتها الفطر لا الصوم!.
ويمكن لمن شاء تتبع هذا النوع من الغزل عند الخياري أن ينظر على سبيل المثال: ١/ ٢٢٧- ٢٢٩، و٢/ ١٤٠- ١٤١، ١٤٢، ١٤٣ ، ١٧١ ، ومواضع أخر .

[6] - نثرا وشعرا في ١/ ١٦٧- ١٦٨.

[7] - ٢/ ١٤.

[8] - ٢/ ٢٥ – ٢٧. وانظر جزءا من نصه هنا ص١١٤.

ذوات الخدور، وكل محجبة ممنعة ولو بسهام الألحاظ النافذة[١]. وغير ذلك من المواقف لمشابهة[٢].

٣- سبب رحلته

لم يكن الخياري يرغب في مغادرة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان يتشوق إلى زيارة الشام، وملاقاة العلماء والأدباء الذين يزورون الحجاز، والذين يراسلونه مع الحجاج والزائرين، ولكنه لم يجد سببا مقنعا للرحلة إلى أن طمع أحد الأشخاص في المخصصات التي يبدو أن الخياري كان يتقاضاها؛ إذ كان مدرسا بالمسجد النبوي[٣]، وخطيبا به أيضا[٤]. فحصل ذلك الشخص على تفويض من المسؤولين عن الحرمين في مصر بتعيينه في وظيفة التدريس بدلا عن الرحالة الذي لم يرد إليه ما يفيد إعفاءه من عمله، فرحل إلى القسطنطينية، وقابل مفتي السلطنة الشيخ يحيى منقاري، الذي أجاب طلبه، وأقره على وظيفته[٥]. ثم قابل السلطان العثماني محمد خان الرابع، وأجاز بدوره ما قرره المفتي[٦]. ويبدو أن ذلك التعيين قد تم بطرق غير مشروعة طمعا في المخصصات المقررة لتلك الوظيفة؛ إذ أخبره المفتي بأنه لا علم له بأمر هذا التعيين، ولذلك لم يكن معتَمَدا من قِبَله[٧]. وقد غادر الخياري المدينة النبوية بعد عصر يوم الجمعة ٢٢ من محرم ١٠٨٠هـ ودخلها عائدا بعد عصر يوم الخميس ٢٨ من ذي القعدة ١٠٨١هـ. وبهذا تكون رحلته قد استغرقت نحوا من سنة وعشرة أشهر وخمسة أيام بغير يومي الخروج والدخول. وقد زار في رحلته تلك تركيا والشام وفلسطين ومصر التي عاد منها إلى الحجاز[٨].

٤- منهجه في تدوين الرحلة

يمكننا في البدء أن نقرر أمورا عامة سلكها الكاتب في تدوين الرحلة، ثم ننتقل بعد ذلك إلى بعض الأمور الأكثر دقة. فمن الأمور العامة: أنه اعتمد على المزاوجة بين النثر والشعر، وإن كان الأول أكثر بكثير. وقد يكون من المناسب في بعض المواضع أن تكون الغلبة لأحدهما، في حين تكون الغلبة للآخر في مواضع أخر. كما أن نصوص الآخرين النثرية الفنية قليلة في الرحلة، مقارنة بالشعر الذي يورد منه نصوصا غير قليلة، ولكنها تختلف من حيث الحجم، فبعضها مقتصر على البيت والبيتين أو أكثر من ذلك قليلا، أي أنها مسوقة بصفتها شواهد أو مُلح وما شابه ذلك. وبعضها نصوص طويلة حرص على إثباتها، إما لكونها موجهة إليه؛ كالإخوانيات مثلا، وإما لكونها تكفيه مؤونة التعبير عن قضية معينة؛ كنقوله الطويلة في فضل الشام ومصر، وما قيل فيهما من أشعار غزلية ووصفية وغيرها.

---

[1] - انظر النص في ١/ ٣٣٨- ٣٤٠. والدليل على زعمنا أن أسفه ليس على الجانب الديني، أننا نجده في موضع آخر، عند حديثه على الموكب السلطاني في "سلانيك" ومن حضره من الأتراك من الجنسين، يذكر أن الله تعالى لم يقطع عنه عوائده السنوية (الرجبية)، التي لم يذكر منها أي سبب ديني، بل كل ما ذكره من تلك العوائد التعويضية هو إمتاع النواظر بالظباء النوافر، وإنعام الله تعالى عليه بالروميات الحضريات بدلا عن العربيات البدويات، وهو عوض يعده مجزيا. ولو كان الأسى على ما يُخرَج إلى أحد من أجله لما وُجد عنه عوض؛ إذ المراد هو زيارة قبور أسد الله ورفاقه، وتذكر جهاد الرسول وصحبه، وذلك ما لن يكون عنه عوض سوى في موضعه!. ولذلك رأى ما حدث له هناك بديلا مقنعا؛ إذ يقول: "فلما أحطنا به خبرة، ومتعنا النواظر بهاتيك النضرة، سلانا ما يكون في مثل هذا اليوم بالمدينة الشريفة" ***الرحلة*** ١/ ٣٤٤.

[2] - انظر مثلا رغبته في حضور الحفلات الصاخبة المقامة في أيام العيد في بعض ميادين استامبول لولا أن صاحبا له نصحه بعدم لياقة حضوره إياها ٢/ ٢٢ – ٢٣. وما ذكره في "استوزر" بعد صلاتهم العصر ٢/ ٤٧. وحديثه عن بروز جآذر الروم بعد الحريق الهائل الذي شب في استامبول ٢/ ٤٩.

[3] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٢٥. و ***الرحلة*** ١/ ٢٨، ٢٧٣.

[4] - انظر المحبي، ***خلاصة الأثر***، ج١، ص٢٥. وقد أشار بعض الشاميين إلى ذلك في قصائدهم التي بعثوها إليه في المدينة. انظر بيتي رمضان العطيفي وأبيات ابن الظريف ص٣١، وانظر كذلك ما ذكره في الرحلة عندما طلب منه أن يخطب في جامع تركي من كراهته الخطابة على غير مبر رسول الله عليه السلام ٢/ ١١- ١٢.

[5] - ذكر الرحالة سبب رحلته في مقدمتها، وفي شكواه لمفتي السلطنة. انظر ١/ ٢٨ ، ٢٧٣.

[6] - انظر المواضع التي أشار إلى مقابلته السلطان فيها ١/ ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩.

[7] - ١/ ٢٧٣. فقد ذكر هناك أن المفتي قال له: "هذا أمر لا أصل له، ولا علم لي به، وأنت باق على ما أنت عليه".

[8] - انظر الجدول رقم١١ ص١٧٦ ففيه بيان لأهم الأقطار التي دخلها الرحالة، موضّحا فيه تاريخ الدخول والخروج، وموضعه في الرحلة.

وقد اعتمد في أسلوبه النثري على السجع كما هو شائع في زمانه، ومع أننا نجده في مواضع متعددة مقبولا وسائغا، إلا أن تبرئته من التكلف غير ممكنة، بل إن الإلحاح على التحسين البديعي في بعض النصوص يزهّد القارئ عن إكمال قراءة النص. ومن الملاحظات أيضا، أن البديع يسلس ويعذب في النصوص ذات الطابع الغزلي، أو الوصفي المعجِب لمتنزّه أو نادٍ أو مجتمع. ويثقل ويعسر تقبّله عندما يكون موجَّها إلى قارئ معين لا بد من إثبات المقدرة البديعية أمامه؛ كالعلماء ومثقفي عصره المعيَّنين. وينعدم التزيين أو يكاد، عندما يحتاج المُتَحدَّث عنه إلى دقة في الوصف؛ كالحديث عن الآثار والجوامع، أو عندما يكون الموقف مخيفا؛ كالحديث عن مأساة يوقن معها الكاتب بقرب الأجل؛ مثل اعتراض الركب من قِبل قاطعي الطرق، أو اضطراب الموج الذي يُخل بتوازن المراكب، ونحو ذلك[١].

٥- الدقة والموضوعية

نستطيع القول بشكل مجمل إن الرحالة كان موضوعيا في أحكامه، دقيقا في مروياته ومشاهداته إلى حد بعيد، يشهد لذلك تلك العبارات التي يكررها من مثل: (نُقِل إليّ ولم أره. ولم أطلع عليه. هكذا أُخبرت. زعموا. في زعمهم. يزعمون. العهدة على الناقل...)، وما شابه ذلك من الألفاظ الدالة على التحفظ تجاه تلك المُدوَّنات والمرويات، إما لاعتقاده عدم صحتها، وإما لعدم تأكده من دقة الناقل وخشيته أن ينسب الخطأ إليه، وإما أن تكون الدقة دفاعا استباقيا ضد من قد يسيء به الظن وينسب إليه المبالغة أو التزيّد. وفي هذا دلالة على أمانته العلمية، واحترامه للمتلقي، وحرصه على مصداقيته أمام قارئه.

ومن دلائل اهتمامه بالدقة والموضوعية في مجال **التدوين**: حرصُه على تدوين ما يريده حال مباشرته إياه، وقد نص على اهتمامه بذلك[٢]. وكذا إثباته بيتي شعرٍ فيهما ذمٌّ لمصر التي ولد فيها أبوه ونشأت على أرضها أسرته وقومه[٣]، وكان بإمكانه تجاهلهما. كما كان بإمكانه عدم إعلامنا بتخطئة الشيخ "واني أفندي" له، وأن الشيخ لم يقبل جوابه في إحدى المسائل العلمية، وأن الرحالة قرأ عبارة قراءة خاطئة، فانبنى عليها حكم خاطئ، فنُبِّه على خطئه فتنبه وشكر، وألا يخبرنا كذلك بعجزه عن الإجابة عن أسئلة علمية وجهت إليه في ذلك الموقف[٤]. ولكن الموضوعية العلمية أبت عليه إخفاء تلك الأمور أو تجاهلها.

وفي مجال **النقول والمرويات**: نجده يتحفظ تجاه بعض ما يسمعه أو يقرؤه، فقد تشكّك في الرواية التي يعللون بها سد باب الجامع في الخليل[٥]. ولم يطمئن لحكاية الجدار المنسوب بناؤه لسليمان عليه السلام[٦]. وارتابَ في خبر المكان الذي يُروى أن فيه قبر رابعة العدوية والطور وغيرهما[٧]. وأسند العهدة في بعض ما رُوي له من أخبار الأهرام إلى الرواة[٨]. وتحفَّظ على زعم الرواة في المسجد الأقصى بمحل الصراط، وموضع جهنم[٩]. وعلى أسطورة قتال عليٍّ للجن، ولم يسلِّم بأن سبب تسمية (آبار علي) هو هذا

---

[1] - سيأتي الحديث عن أسلوبه النثري مفصلا في الفصل الثالث. انظر ص١٠٤.

[2] - ٣١/١. والتدوين حال المشاهدة يجنب الكاتب الوقوع في بعض الأخطاء والمبالغات نتيجة النسيان وبُعد العهد بالمعلومة المراد تدوينها.

[3] - ١٢٨/٢ وشبيه به ما في ١٣٠/٣من تفضيله الشام عليها. وانظر ١٥٠/٣ فبعد أن أورد لابن سعيد من كتابه (المُغرب) نقد شديدا لمصر لما فيها من التبرج والعهر الخلاعة والمجون وشيوع الخمر ... ثم نقل تعليق المقريزي على ابن سعيد بقوله: "وفيه تحامل كثير". علق هو على المقريزي قائلا: "ومن نظر بعين الإنصاف علم أن التحامل في نسبة التحامل إليه" ثم استشهد - غامزا المقريزي – بالبيت الشهير "وعين الرضا عن كل عيب كليلة ..."

[4] - انظر لهذه المناقشات ٣٠٧/١- ٣٠٩. ومن موضوعيته ما ذكره من أن رمضان العطيفي أنشده بيتين بديهة، ثم قال: وأجبته بعد أيام بقولي:... . وكان يمكنه أن يقول فأجبته بقولي: ...، ليُفهَم أنه في الحال، ولكن أمانته لم ترتض ذلك الادعاء. انظر الرحلة ١١٣/١. ولهذا النوع أمثلة عديدة.

[5] - ٢٠٠/٢. وهي رواية تبدو الصنعة فيها ظاهرة وغير مقنعة.

[6] - ١٩٨/٢.

[7] - ١٩٦/٢.

[8] - ١١٠/٣ ومثله في ١١٢/٣، إذ ذكر تاريخ بناء مقياس النيل ومن قام عليه من الحكام، ثم قال: "وأخبرت أن البناء الموجود اليوم من بناء السلطان قايتباي، والعهدة على الناقل" مع أن قوله: "أُخبرت" مغنٍ عن العبارة الأخيرة ولكنه الحرص على الدقة.

[9] - ١٩٢/٢.

القتال المزعوم[١]. ولم يمنعه حبه لزعيمه الروحي ابن عربي وافتتانه بآثاره التي يشيد به وبها كلما عنَّ ذكرهما، من نقده والتعقيب عليه في إيراده بعض المرويات[٢]. أما الأخبار عن الرسول عليه السلام وآثاره فلا بد، حسب رأيه، من أن تكون مبنية على النصوص لا على الأوهام والظنون[٣]. وكان حذره واضحا في تدوين بعض الأخبار والمرويات، مع الحرص على الدقة والتثبت في نقل المعلومة في مواضع متعددة[٤].

وفي مجال **المشاهَدات**: كان بإمكانه إيراد ما يتعلق بالأماكن التي وصل إليها دون سند، إيهاما بأنها من مُشاهَداته، ولن يُنازع في ذلك ما دام الخبر صحيحا. ولكنه قال عن عدد أبواب جامع أيا صوفيا: إنه أُخبر بعددها ولم يحط به[٥]. ومثلها خبر الأوضة (الحجرة) العظيمة القريبة من جامع السلطان محمد، التي لم تتيسر له رؤيتها، إنما نقل له الرواةُ صفتها[٦]. وأخبره بعض أصحابه عمن لقيه من أهل أرقلة: **"أن بها من العيون ثلاثمئة وأربعين عينا، والعهدة عليه في ذلك وفي صحته"**[٧].

ومع أننا نلاحظ من هذا العرض الموجز أن الموضوعية والدقة تغلبان على تدوينه، إلا أننا لن نعدم بعض الإشارات اليسيرة التي تشير إلى مجافاته الموضوعية، ومن ذلك مثلا: تجاوز وقار العالِم في الحكم على خصمه، الذي يصفه بالمضمَر، والنكرة، ومجهول النسبة والذات، وأنه ظِلّ ابن ظِلّ، أو هيان بن بيان[٨]. ومع أنه يدعي جهلهُ باسمه – أنفة - إلا أنه اضطر إلى ذكر ذلك الاسم عندما بث شكواه للشيخ يحيى منقاري؛ فاسمه هو **"قيصمن بالقاف أو بالفاء، فقلت: إن كان بالقاف فقصمه الله، وإن كان بالفاء فصمّه الله"**[٩]. ومنه عدم الدقة في الوصف أحيانا[١٠]. وتصديقه بعض الخرافات؛ كما في نقله خبر ابن خلكان في ترجمة الليث بن سعد[١١]. ويمكن أن يكون من ذلك ثناؤه على أدبه أو على نفسه[١٢]. وما شابه ذلك من القضايا.

---

[1] - ٣/ ٢٠٩.

[2] - ١٨٠/٢. فقد نبه هناك على أن ابن عربي دوّن بعض الأخبار كعروج الرسول عليه السلام على البراق وتأثير قدمه الشريف في صخرة بيت المقدس وأن الملائكة أمسكتها لمّا مالت. ثم عقب بما ينبئ بانتقاده لابن عربي على إيرادها وكأنها مسلمات بينما الواقع أن في بعضها خلافا وأن أكثرها بلا سند صحيح ثابت.

[3] - ٢/ ١٨١-١٨٨.

[4] - ١/ ٥٠ ، ٨٠، ١٦٦، ١٨٤، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٤،٢٣٧ و ٢/ ٢٢ و ٩٢/٣ وغيرها.

[5] - ٩٠/٢.

[6] - ٢/ ٩٨.

[7] - ١/ ٢٠٦. وانظر في الصفحة التي تليها مباشرة خبر الفوار الثلجي العجيب الذي أخبره به بعض أصحابه المرافقين له، الذين ذهبوا لرؤيته، فوصفوه له ونقلوا إليه بعض أحجاره الثلجية التي لا تنماع وإن أذيبت على النار "ولبعد مكانه عن مضرب الخيام لم يتيسر لي الذهاب، فإنه نحو الساعتين من المناخ ذهابا ومثلهما إيابا، وهو من الأعاجيب، ولا بدع فالسفر مرآة الأعاجيب".

[8] - ١/ ٢٨.

[9] - ١/ ٢٧٢ ، ولعل الحماس أنساه أن "صمّه" تبدأ بالصاد لا بالفاء ! لكنه للضرورة الآنية جعل فاء الجواب من أصل الكلمة؛ إذ لم تعد مثل هذه التفصيلات مهمة الآن. وليس بعيدا أنها في الأصل "ففصمه الله" بفاءين، ثم جهل النساخ ذلك فتحولت عندهم الكلمة من " الفصم" إلى " الصمم".

[10] - ٢/ ٩٤. إذ حكى عن حديقة في استانبول أن طولها يزيد على مقدار سور المدينة المنورة، وهو توضيح شبيه بتوضيح من يفسر الغضنفر بالهزبر أو المفازة بالمهمه لمن لا يعرف سوى مسميي الأسد والصحراء!، وربما دفعه إلى ذلك كون الكتاب موجها في الأساس لأهل المدينة، ولكن هذا الاعتبار لا يعفيه من المسؤولية في عدم الدقة فإن أناسا آخرين – لا بد – قارئوه، ثم إن الكتاب سيبقى على مر الأحقاب، والسور سيزول في يوم ما – وقد فعل – وهذا يعني أن القياس قد فقد، ولو كان بالذراع أو الباع لكان أبقى .

[11] - ٣/١٩، وهو خبر مضحك، فابن خلكان حكى (ولا يُدرى عمّن ؟) أنه سُمع قائلٌ (الفعل مبني للمجهول لأن الحكاية لا معلومية لها) يقول يوم مات الليث : [ذهب الليث فلا ليث لكم ... ومضى العلم غريبا وقُبر]، فكأنهم لم يلتفتوا إلى مصدر الصوت إنصاتا فأمهلوه إلى أن أنهى نشيده ثم التفتوا ليجدوا لا شيء، حتى تكتمل الحبكة الأسطورية. فلِمَ لم يلتفتوا عند بدئه بـ(ذهب) ؟! ، ولِمَ لم يتحفظ عليها المصنف كما يصنع مع ما هو أقل شأنا منها ؟!

[12] - في مواضع منها ما في: ٣٢/١ ، ٢٧٨. والحكم على جودة الأدب لا تكون لصاحبه بل لمتلقيه.

٦- نقده لبعض المظاهر العامة، أو الدينية، أو الاجتماعية

كان للمؤلف ملاحظات على عدة أمور مختلفة عبَّرَ عن نقده[١] لها في رحلته في مواضع متعددة. وقد ساق تلك الملاحظات بأسلوب ينحو فيه أحيانا منحى السخرية والتهكم، مما يعطي انطباعا عن مدى تأففه من تلك المظاهر. والأمور المنتَقَدة متنوعة؛ فمنها ما يكون في أمور عامة، وما يكون مختصا بالشؤون الدينية، وما له علاقة بالقضايا الاجتماعية.

ففيما يخص الأمور العامة، نجده يتعجب من عكس مفهوم العيدين لدى الأتراك؛ إذ يسمون عيد الفطر: العيد الكبير[٢]. كما أنه عرّض بهم في موضوع الكرم، وأنه ليس من طبيعتهم، لأن أحدهم يكرم النازل به بما لا مزيد عليه، إلا أنه يتقاضى ذلك كله عند همّ النزيل بالمغادرة، وقد روى حكاية ظريفة عن الإمام الشافعي عندما نزل بأحدهم في إحدى سفراته، وأنه (الشافعي) ألف كتابا في ذمّ الشُّقر[٣]. ومنه أيضا، ما حكاه عن كرم أهل القرية التي دخلوها بعد خروجهم من الخليل، وثناؤه عليهم، وذكره إنكار أهل القرية بيع القِرى على المسافرين، ثم استغراب من معهم من الأتراك ذلك الفعل، لكونه غير معلوم لديهم؛ إذ الكرم، حسب قوله، من خصائص العرب دون سواهم من الأمم[٤]. ونقده الشديد لتعليل بعض المقدسيين للألوان المشتمل عليها محراب الأقصى المبارك بأن ألوانها معمولة على تلك الهيأة لدلالة على أوقات الصلوات، ثم نقده لأهل حمص عرضا، وقد خطر له أن ينشد آخر البيت الشهير: جسم البغال وأحلام العصافير[٥]. وبما أنه مهتم بالجمال، وخصوصا الجمال الآدمي، فقد لاحظ أن الجمال في أهل مصر نادر، وأنهم - على كثرتهم المفرطة التي لفتت نظره حتى وصفها بالنهر تارة، وبالبحر أخرى - لا يوجد فيهم من تستحسن العين رؤيته سوى العُشر **"عُشرُهم يستحسن رؤيته البصر، والتسعة أعشار غائبهم لا يُنتَظر"**[٦].

وفيما يخص النواحي الدينية، نجده يعيب عليهم تقديم ذي الصوت الحسن، والنغم العذب، دون الاهتمام بعلمه، بل إنه يُقَدَّمُ على غيره من ذوي العلم من غير حَسَني الأصوات. وقد سخِر من هذه السطحية حتى قال فيهم متندرا بيتين من الشعر[٧]. وهو يعيب عليهم في أكثر من موضع حرصهم على النغم في جل عباداتهم؛ ففي التسبيح يشير إلى أنهم يراعون ما يقتضيه علم الموسيقا، أكثر من مراعاتهم ما تقتضيه السنة المحمدية[٨]. ولكن ملاحظته النغمة تكون أكثر ما تكون في الخطبة، فهو يعيب على عرب الشام محاكاة الأتراك في ذلك. ولذلك نراه لا يفتأ يشيد بمن يبتعد في خطبته عن ذلك التنغيم أو يخفف منه، ومن أولئك الشيخ عبد الرحمن الشامي، خطيب جامع السلطان أحمد في استانبول، القريب من جامع أيا صوفيا، فالشيخ يؤدي الخطبة أداء مولدا **"بين وضع الترك والعرب لا إفراط في النغمة ولا تفريط، و...خير الأمور أوساطها"**[٩]. ومن ملاحظاته أيضا تعجّبه من جزم الأتراك بأن ليلة السابع والعشرين من رمضان هي ليلة القدر، إلى درجة أنهم يسمونها بهذا الاسم، واحتشادهم العظيم لذلك في جامع أيا صوفيا وغيره من الجوامع، ثم إن أمرهم في تلك الليلة كله عجب؛ فالتراويح عشرين ركعة، يقرأ الإمام في كل ركعة آيتين فقط، ثم يزيدون ثنتي عشرة ركعة، يسمونها صلاة ليلة القدر! ثم يوترون. وقد تذمر كثيرا من تلك الصلاة، مع ذلك الزحام، مع عجمة اللسان، فكان يعدّ الركعات عدّا، ولولا أنها

---

[1] - لا أعني بالنقد هنا مفهومه العلمي الذي يراد به مجرد اتخاذ حكم تقويمي في قضية مطروحة إيجابيا كان الحكم أم سلبيا. بل أعني النقد العائب صراحة أو تعريضا.

[2] - ويعلق على ذلك قائلا: إنه من المعلوم أن يوم النحر هو يوم الحج الأكبر، ولكن هكذا اصطلحوا، ولا مشاحة في الاصطلاح. ٢/ ٢٥.

[3] - ٢/ ١١٩.

[4] - ٢/ ٢٠١-٢٠٢.

[5] - ٢/ ١٨٩.

[6] - ٣/ ٩٥. و قال في الجزء نفسه ص٨٧: "والذي حرره النظر، وعليه استقر، أن ما يُلحظ عشر، وتسعة أعشار من ترى بقر". ولا شك أنه أفرط في هذا الحكم، ولعل صور الأتراك ومن جاورهم لا زالت هي المقياس لديه وإلا فهم كغيرهم من البشر فيهم الحسن، والأقل حسنا، والقبيح .

[7] - ٢/ ٨٤.

[8] - ٢/ ١٠.

[9] - ٢/ ٩٣. وسيرد في الفصل الثاني بيان لاهتمامه بقضية اللحن لدى الخطباء. انظر ص٧٥.

ليلة السابع والعشرين لظنّ أنه من المقصودين في تلك الليلة بقوله تعالى: **(لَّأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً)**، كما فسرها بعض المفسرين بقوله: أي لأحشرنه مع غير أبناء جنسه، وقد تعجب من هيأة صلاتهم وتخصيص هذه الليلة بصلاة معينة، وكيف يتحايلون على أدائها بالنذر مع معرفتهم بعدم شرعيتها![1]. كما ينعى عليهم عدم اهتمامهم بليلة عيد الفطر، فغالب الناس في دورهم، حتى إنه لم يعلم بأنها ليلة العيد إلا بإكمال العدّ ثلاثين، وهذا خلاف المعتاد في أرض العرب، كما يقول، سيما في بلدته المدينة المنورة، التي تعمها مظاهر البشر والحبور في تلك الليلة[2]. ثم نقده الساخر للأتراك لادعائهم ما يسميه بـ"علم الساعة" واعتمادهم في المواقيت على الساعات التي يحملونها في أيديهم أو جيوبهم، ومن ذلك جعلهم علامة بدء الشهر ما يظهر في الساعة، فهم يجعلون حقيقة الظهور تبعا لما يبدو في تلك الآلة، لا العكس من الاعتماد على الآيات الكونية[3]. وتعجبه من حماقة كثير من الأتراك لتصديقهم المنجمين تصديقا ينسيهم أن تقدير الأمور هو بيد الله وحده، وذلك عندما أشاع المنجمون في شهر رمضان أن زلزلة عظيمة ستقع في ما بين الخامس عشر إلى العشرين منه، فصدقهم كثير من الناس **"وصاروا يتوقعونه فكأنه المهدي المنتظر"**[4].

أما القضايا الاجتماعية، فقد أعلن استنكاره للضرائب التي تفرضها الدولة على التجار والمسافرين، وتسميته ذلك بالعادة المحرمة، ووصف نفوس القائمين عليها بالأمّارة[5]. وتذمره الشديد مما يفعله والي بلدة قطيّة وأهلها من أخذ الإتاوات على كل دابة لا يستثنون من ذلك ميتا ولا مولودا، وتسميته لها بالقرية الظالم أهلها[6]. ومن ذلك إشارته إلى استشراء الرشوة إلى أن عمت بلواها بعض القضاة الذين يفترض فيهم معاقبة المرتشين والأخذ على أيديهم، وقوله في ذلك أبياتا[7].

٧- مكانته لدى معاصريه

الكثير من الدلائل تشير إلى أن الرحالة كان، رغم وفاته المبكرة، ورغم ندرة مؤلفاته[8]، ذا مكانة مرموقة عند معاصريه من العلماء والأدباء، وأن صيته كان قد سبقه إلى الشام قبل أن يصل هو إليها، فالشاميون كانوا يبعثون إليه في المدينة، وفي نُزُله بالشام، بالقصائد التي تؤكد توقيرهم إياه والنظر إليه على أنه أحد أعلام زمنه[9]. وقد ذكر المحبي أنه **"أحد المشاهير بالبراعة في الحديث والمعارف وفنون الأدب والتاريخ، وكان واسع المحفوظات، حلو العبارة، لطيف الطبع، كأنما امتزج مع الصهباء، وخُلق من رقة الماء"**[10]. كما قال: إنه في ذهابه قدِم الشام **"فعظم بها قدره، وانتشر ذِكره، وأقبل عليه أهلها، وبذلوا في إكرامه الجَهد"** وفي إيابه من تركيا **"قدِم دمشق، واعتنى به أهلها كاعتنائهم به في قدمته الأولى...واجتمعت أنا به مرارا"**[11]. وفي موضع آخر قال: **"ثم قدم دمشق فهوت إليه القلوب مقتبسة من سناه، وتنافست الألسنة في إحراز مدحه وثناه"**[12]. وفي الرحلة أخبار عن الاحتفاء به؛ إذ إن مجموعة من علماء زمنه وأشرافه وأكابره وأدبائه في الشام، على وجه الخصوص، زاروه في مقر نزله،

---

[1] - ٢/ ١٥- ١٧.
[2] - ٢/ ١٩- ٢٠.
[3] - ٢/٩- ١٠.
[4] - ٢/ ١٢.
[5] - ١/ ٥٣ .
[6] - ٢/ ٢٠٨.
[7] - ٢/ ١٤٤.
[8] - لم يُذكر له من المؤلفات سوى رحلته هذه، ورسالة في فضل المولد النبوي أسماها: خلاصة الأبحاث والنقول في الكلام على قوله تعالى :(لقد جاءكم رسول). وقد ذكرها الرحالة في *الرحلة* ١/ ٢٧٤. كما ذكر أنه جمع شعر جمال الدين بن الدرا. انظر ١/ ١٢٣. وقال حمد الجاسر: أنه اطّلع "على نسخة من ذلك الشعر مصدَّرَة بمقدمة للشيخ الخياري، جامعها". ''مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته،'' ص٢٢٥.
[9] - انظر *الرحلة* ١/ ١٠١- ١٣٣، ٢/ ١٣٢- ١٣٩. وانظر بعض النصوص هنا ص ص٣١- ٣٣.
[10] - *الخلاصة*، ج١، ص٢٥.
[11] - الموضعان في *الخلاصة*، ج١، ص ص ٢٦- ٢٧. وفي *نفحة الريحانة*، ج٤، ص٣٦٧. يقول: "لزمته لزوم الظل للشبح، وأخذت عنه...".
[12] - *نفحة الريحانة*، ج٤، ص٣٦٧.

وعبروا له عن سعادتهم برؤيته، وتشرفهم بمجاذبته الأحاديث في مختلف الفنون، وبعضهم يسأله الإجازة في الحديث أو التفسير أو غيرهما، ويُنشدونه أشعارهم ويستنشدونه[١]. وفي تركيا وصَفَه مفتي الدولة العثمانية يحيى منقاري في تقديمه إياه إلى السلطان بأنه **"عالم محدث أديب"**[٢]. وذكر عنه معرِّفا السلطان به قائلا: إنه **"رجل من العلماء"**[٣]. وأثنى عليه قائم مقام عند السلطان أيضا، وأقنعه بمكانته، حتى أنعم السلطان على الثناء، وقرر له رزقا يوميا دائما يصرف له من خزينة مصر، ووقعه بخطه[٤]. وأجازه الشيخ واني أفندي، مع أنه لم تجر له العادة بالإجازة، ووصفه بقوله: **"الشيخ الفاضل مولانا إبراهيم الخياري"**[٥]. وفي القسطنطينية كانت عادة الأكابر عند نزول الأعيان ببلدهم الاقتراعُ على من ينزل عنده ذلك العين ويحل في ضيافته، ولأن الخياري يُعدّ عندهم من العلماء الأعيان، فقد تساهموا في مسألة نزوله عند أيٍّ منهم، إلا أنه اعتذر لعدم معرفته بأن هذا من دأبهم، ولكنه بعد أن استقر في منزله المعدّ له، عاتبه أحد وجهاء البلد على عدم استجابته لمطلوبه من الاستضافة، وألحّ عليه في ذلك إلى أن وافق، فأنزله أكرم منزل، وبالغ هو وخدامه في إكرامه، ولكن الخياري بعد أيام لم يرد الإثقال على مضيفه أو إملاله، فقرر الرجوع إلى داره قائلا: الضيافة ثلاث، وإقامتنا زادت على العشر، إلا أن الوجيه أبى عليه أشد الإباء وقال له -وكان الوقت في شعبان -: لا بد من صوم رمضان عندنا وبعد العيد سننظر في الأمر، وقد تم له ذلك[٦]. ولمكانة الشيخ عندهم، ولكونه جارا للرسول عليه الصلاة والسلام، ولِما يعرفونه من علمه، ألحّ عليه بعض أكابر القسطنطينية وعظمائها أن يختطب بالمصلين في إحدى الجُمَع بأحد الجوامع الكبيرة، وقد استجاب لهم بعد إلحاح شديد؛ إذ لم يكن يريد أن يستبدل بمنبر رسول الله عليه السلام منبرا غيره، وقد أُخبِر أن بعضا ممن لم يحضروا خطبته أسفوا على ذلك[٧]. وفي الخليل بفلسطين، حضر المصنف مجلس درس يلقيه شيخ الشافعية هناك؛ إبراهيم المرواني، فأوقف الشيخ درسه، وطلب من الخياري القراءة من كتاب الجامع الصغير للسيوطي، وقرأ الشيخ نفسه على الخياري ليتشرف بذلك، بل إن الشيخ المرواني طلب من الرحالة أيضا أن يجيزه برواية ما قرأه عليه، وما فسره من الأحاديث في ذلك المقام[٨]. وفي إجازة حصل عليها الخياري من الشيخ علي الشبراملسي وكُتبت بخط الشيخ شهاب الدين العجمي القاهري، جاء من أوصافه فيها **"عالِم المدينة المنورة...وواسطة عقد مدرسي مدارسها ومعالمها، الفقيه النبيه الإمام الهمام الخطيب الأريب، المدرس المحقق، المفتي المحرر المدقق، المحدث الفاضل، برهان الأفاضل، جامع أصناف الكمالات والمحامد والفضائل، الأخ الأعز الكريم، العلاّمة العمدة الشيخ إبراهيم ... الخياري"**[٩]. ومع أن كاتبها القاهري يُعد في زمنه وبين مجايليه من أعلام عصره، إلا أنه طلب من الخياري أن يجيزه، وهو ما عده الأخير من العجائب والغرائب، وقد رأى أنه **"أمرٌ الموافقةُ عليه أمرٌ من ساعة الصبر، وأثقل من نقل الصخر"**، مما جعله يتلكأ في الإجابة، ويحاول التملص بشتى الأعذار، إلا أن القاهري لم يفلته حتى أجازه[١٠].

ولعل مما زاد في ألفته لدى النابهين ما أشار إليه المحبي في الترجمة السابقة من لطف الطبع، وحلاوة العبارة، اللذيْن نجد لهما بعض المظاهر في رحلته؛ فمن مظاهر لطف الطبع قوله عن ابن الدرا:

---

[1] - انظر ما ذكره عن الشام في حال الذهاب إلى الروم: ١/ ١٠١- ١٤٩، وفي حال الإياب: ٢ / ١٢٣- ١٣٦. ولو لم يكن عَلَمًا معروفا لسعى هو إليهم في نواديهم ومنازلهم، ولما علم كثير منهم بنزوله ولا أبيه له. وقبل ذلك نجد بعض الأدباء يبعثون إليه رسائلهم وهداياهم كل عام مع قوافل الحج ويبادلونه الأدب ويطارحونه الأشعار، ذكر منهم: رمضان العطيفي انظر ١/ ١١٤، وخليل بن الظريف انظر ١/ ١٢٨- ١٣٠، وزين الدين البصروي انظر ١/ ١٣٠. ويسعى القادمون منهم إلى الحجاز للاجتماع به كما حدث من الشاعر جمال الدين بن الدرا الذي جاور بمكة ومدح شريفها زيد بن محسن انظر ١/١١٥- ١٢٣.

[2] - ١/ ٢٨٢.

[3] - ١/ ٣١١.

[4] - ١/ ٣١٢.

[5] - ١/ ٣١٠.

[6] - ٢/٦- ٧. وذلك عند دخول القسطنطينية للمرة الثانية بعد مقابلة السلطان في "مدبخ" القريبة من "يني شهر" وحصوله على الحق الذي أتى من أجله.

[7] - ٢/ ١١- ١٢.

[8] - ٢/٢٠١.

[9] - ٣/ ٥٠ ، ورغم ما يبدو في هذه الأوصاف، وفي مشابهاتها، من المبالغات المفرطة إلا أنها تدل على تقديرهم لمكانة الرجل العلمية.

[10] - ٣/ ٥٨.

"فخطر ببالي أن أنظم له أبياتا أمتدحه بها وأهنيه بالحج والزيارة، ثم أحجمت لما بثه من شكوى ضعف المزاج؛ إذ ربما ظن ذلك اختبارا فأزعجه بعض الإزعاج، فكففت عن ذلك"[١]. ومن مظاهر حلاوة العبارة ما قاله عن زيارته للأخوين عبد الوهاب وعلي ابنَيْ أبي الإسعاد بن وفا في القاهرة: **"فلم أزل بهما شغِفا، وللقائهما منعطفا... فزرتهما مقدما أكبرهما، وكلاهما كبير، ومثنّيا بعلي ذي الفضل الخطير"**[٢]. فقد أحجم عن نظم القصيدة لكي لا يزعج صاحبه، ولكيلا يظنه ممتحنا. ثم احترزَ احترازا لطيفا في عبارته عن الأخوين، مبينا أن التقديم لكِبَر السنّ، لا كِبَر الأخلاق والعلم والأدب والمكانة؛ إذ كلاهما موضع إجلال وإكرام.

٨- آراء النقاد في الرحلة وكاتبها

النقاد المعنيون قد لا يكونون نقادا بالمعنى العلمي الدقيق لهذه اللفظة، ويمكن أن يكون مصطلح (القرّاء) أدق في التعبير المجمل عمن تحدثوا عن الرحلة وكاتبها، فبعضهم انطلق من نظرة إعجاب مبدئية، وبالتالي فإننا لا نتوقع من مثل هذا الكاتب أن يخرج في حكمه عن التقريظ والثناء. والبعض الآخر لم تكن في أذهانهم قضية النقد المنهجي عند حديثهم عن الرحلة؛ إذ كان هدفهم عرضها، وإعطاء القراء الذين لم يطّلعوا عليها فكرة مجملة عنها. ولكن إذا كان المطلوب منا ألا نغتر بكثرة التقريظ، وألا نعده حكما بالجودة المطلقة، فإنه ينبغي علينا أيضا ألا ننساق خلف الفكرة المضادة القائلة بأن هذا الثناء خال تماما من النقد المنهجي، وأنه ناتج عن إعجاب مبدئي مطلق يحجب عن عيني القارئ (الناقد) العيوب الموجودة في الكتاب وصاحبه، لأن المتحدثين عنهما هم من العلماء ذوي البصر بهذا النوع من الكتابات، ولا يمكن أن يتواطؤوا على تقريظ كاتب ليس أهلا لإعجابهم، ولا على الإشادة بمكتوب لا يستحق ثناءهم. والحديث عن الرحلة على نوعين؛ أحدهما: حديث عن الرحلة بشكل عام، والآخر: عن نصوص بعينها.

٨- ١ النقد الموجه إلى الرحلة عموما

اختلفت نظرات القراء إلى الرحلة؛ فمنهم من عبر عن إعجابه بها إعجابا مطلقا، ومنهم من أعجب مع تحفظات يسيرة، معتمدا في حكمه على النظر في وضعية الأدب في ذلك العصر، ومنهم من رآها ممثلة لعصر الانحطاط الفكري والأدبي والعلمي. ولكن النوع الأول هو الغالب كما سنرى.

- قال المحبي عن الرحلة[٣]: إنها **"تشتمل على ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، من محاسن الأخبار، ولطائف الآداب"** .

- وقال حمد الجاسر عند حديثه عليها معلقا على وصف المحبي السابق[٤]: **"إن هذه الرحلة ليست كما قال المحبي عنها ...** (تشتمل على ماتشتهي الأنفس...ولطائف الآداب)، **فحسب، بل هي سجلٌّ حافل بقدر كبير من العلوم والمعارف؛ من جغرافية، وتاريخية، وأدبية، ودينية، في البلاد الإسلامية في تلك الحقبة من الزمن. وكم من كتاب يحوي ما تشتهيه النفس، وتلذه العين، لا يحتوي إلا على اليسير مما في هذه الرحلة".**

---

[1] - ١/ ١١٦.
[2] - ٣/ ٣١.
[3] - *الخلاصة*، ج١، ص٢٥.
[4] - ''مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته،'' ص٢٢١.

- وقال أيضا عندما أورد قولا آخر للمحبي مترجما الخياري[١]: **"أحد المشاهير بالبراعة في الحديث والمعارف، وفنون الأدب والتاريخ، وكان واسع المحفوظات، كأنما امتزج مع الصهباء، وخُلق من رقة الماء"** . قال الجاسر[٢]: **"وأقول: إن من قرأ رحلته عرف صدق هذا الوصف وصحته، وأنه كما قال: (كان من أفراد الدهر)".**

- وقال الجاسر عن الرحلة أيضا، مقارنا بينها وبين رحلة محمد كبريت[٣]: **"ورحلة السيد كبريت معروفة ...ولكن رحلة الخياري أغزر منها مادة، وأكثر منها فوائد".**

- ويتحدث عن أدب الخياري وسعة اطلاعه قائلا[٤]: **"تعتبر هذه الرحلة أعظم أثر خلفه الشيخ الخياري، فهو مع غزارة علمه، وسعة اطلاعه، مقلٌّ في مجال التأليف".**

- وتحدث محمد الفاسي عن الكاتب ورحلته قائلا[٥]: **"يظهر من خلال رحلته أنه كان ذا مواهب أدبية ممتازة، وأسلوب حي رائق، خصوصا إذا اعتُبر العصر الذي كان يعيش فيه، وهو القرن الحادي عشر الهجري، حيث كان النثر العربي في جملته منحطا في المشرق ...وقد وضع في وصف هذه الرحلة ذهابا وإيابا كتابه البديع...تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، وسوف نرى أن هذا الاسم يتفق تماما مع ما تحتوي عليه هذه الرحلة البديعة التي اعتبروها من أحسن ما وُضع في هذا الفن في البلاد المشرقية".**

- وقال في ختام عرضه للرحلة[٦]: **"هذا ملخص هذه الرحلة البديعة، بما تحتوي عليه من وصف دقيق لكل الأماكن التي مر بها المؤلف... وأسلوبه حي، وسجعه على قلته، غير متكلف، لا يحجم عن تسمية الأشياء بتسميتها العامية، وفي هذا ما لا يخفى من كبير الفائدة من حيث تاريخ التطور اللغوي للهجات العربية".**

- ويُثني عباس الجراخ على الرحلة بتحفظ قائلا[٧]:**"وقد وصل إلينا عدد من الرحلات ...ولعل رحلة الخياري المسماة: تحفة ... من الرحلات المهمة الماتعة...والملاحظ على أسلوب الخياري السجع الذي عمد إليه عمدا، ولغته البسيطة، علاوة على أنه يستخدم (ما) بعد (كان)، واللام مع (بعض) و(غير) في بعض عباراته التي قد نراها متكلفة في بعض الأحيان".**

- إلا أن عبد القادر الريحاوي يخالف هؤلاء في حكمه على الرحلة وكاتبها؛ إذ يرى[٨]: أن الرحلة كُتبت **"بأسلوب أدبي يغلب عليه استعمال السجع، والاستشهاد بالأمثال والأشعار، مع تكرار للمعاني، وإسراف في المديح، وتنميق للعبارات"**، وأن كاتبها الخياري: **"كان لا يتورع عن الغزل بالمذكر في المناسبات، ويستعمل كلمات تركية أحيانا كانت شائعة في العهد العثماني؛ مثل كلمة (كوبري) التي تعني الجسر، و(بوغاز) وتعني المضيق. وأحيانا يستعمل بعض الكلمات العامية. فالكتاب في الواقع يمثل عصر الانحطاط الفكري والأدبي والعلمي. ومن الناحية اللغوية نلاحظ أن المؤلف يقصر المد في كتابة الكلمات، فيقول: السما، والعلما، والفضلا. ويستعمل كذلك الياء بدلا من الهمزة، فيقول: فضايل**

---

[1] - ***الخلاصة***، ج١، ص٢٥.

[2] - ''مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته،'' ص٢٢١.

[3] - ''مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته،'' ص٢٢٢.

[4] - ''مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته،'' ص٢٢٤. وحديث المعاصرين عن صاحب الرحلة هو حديث عن الرحلة لأنه إنما عُرف عن طريقها.

[5] - محمد الفاسي ''إبراهيم الخياري ورحلته: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، '' ***مجلة معهد المخطوطات العربية***، جامعة الدول العربية، مج ٦ (ذو القعدة ١٣٧٩- جمادى الأولى١٣٨٠هـ/ مايو- نوفمبر ١٩٦٠م)، ص ص١٦١- ١٦٣.

[6] - الفاسي، ''إبراهيم الخياري ورحلته: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، '' ص١٨٦.

[7] - عباس هاني الجراخ، ''نظرات نقدية في رحلة الخياري المسماة: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، '' ***مجلة العرب***، ج ٩ و١٠، السنة ٣٤ (الربيعان ١٤٢٠هـ - تموز- آب/ يوليو- أغسطس ١٩٩٩م)، ص ٦٥١.

[8] - عبد القادر الريحاوي، '' رحلة الخياري إلى سورية في القرن الحادي عشر الهجري، '' ***الحوليات الأثرية السورية***، مج ١٥ (١٩٦٥م)، ص ص٧- ٨.

وأيمة، عوضا عن: فضائل وأئمة... وقد حشا رحلته بكثير من القصائد التي أنشدها في المناسبات، أو التي أنشده إياها من اجتمع بهم من العلماء، وكلها من الشعر الركيك الذي لا يهمنا أمره، و...كان يسرف في تدبيج العبارات الأدبية وتنميقها ابتغاء التأدب وصناعة السجع".

- أما محقق الرحلة الدكتور رجاء السامرائي فقد أيد محمدا الفاسي في حكمه بجودتها، واختلف مع الريحاوي، ورأى أن الأخير لم يزن الرحلة بميزان عصرها، ولو فعل لكان حكمه مختلفا[1].

٢-٨ النقد الموجه إلى نصوص معينة

- ومن ذلك ما قاله المحبي بعد أن انتقى أربعة نصوص من أشعار الرحالة[2]: **"وقد أثبتُّ من شعره بدائع تقتنى، وروائع بها على حسن الأسلوب يُعتنى".**

- ويقول محمد الفاسي عن أحد النصوص النثرية[3]:**"ومن أجمل صفحات هذه الرحلة وصفه لليلة الرؤية (أي رؤية هلال رمضان)، واحتشاد الخلائق بين دار القاضي ودار المحتسب، وقد برع في دقة التصوير، وحرارة العبارة".**

- وقد قام أحد القراء المجهولين بالتعليق على نص في الرحلة ينتقد فيه الخياريَّ، فعندما حكى الرحالةُ مرورَ الموكب السلطاني، أورد بيتا من محفوظه، ووطّأ له بآخر، والبيتان هما[4]:

يـــا موكبـــا حلّـــه ذو المُلْـــك منفـــردا ... ففـــاز بـــالرفع مثـــل المفـــرد العلـــمِ
سلْ عنـه، وانطـق بـه، وانظـر إليـه، تجـد ... مـــلء المـــسامع والأفـــواه والكلـــمِ

قال المحقق: إن بهامش نسخة (ت) ما يلي: **"انظر لهذا الأديب الفاضل كيف سها بهذا عن صدر البيت، وغفل عن فساد المعنى، ولم يتأمل اللف والنشر في صدر البيت، مع أن الأفواه هي محل الكلم. وسبب ذلك كله الذهول...تأمل. وإنما المشهور هكذا: ملء المسامع والأفواه والمقل".**

ومن ذلك أبيات بعث بها عبد الرحمن بن محمد الحسيني المعروف بابن النقيب إلى الخياري، فرأى هذا الأخير أن التعالي يفوح من الأبيات، خصوصا قول صاحبه[5]:

فِـدًى لـك، قـد أقـررتَ بالفـضل أعيُنـاً ... فـشارف ذرى العليـاء وامـدد لهـا كفّـا

فأجابه شعرا مشيدا به وبأدبه، ثم قال عن المقطوعة:

ولكنهـــا أومَـــتْ لـــوحي إشـــارةٍ ... فكنـــتُ إلـــى فهـــم لهـــا الأســـبقَ الأوفـــى
لعمـــرك للعليـــاء أدركـــتُ يافعـــا ... وقـــد خَطبَتْنـــي مـــا مـــددتُ لهـــا كفّـــا

قال المحقق: إن في نسخة (د) تعليقا يقول كاتبه: **"قوله: لعمرك للعلياء...، قابلَ به قول ابن النقيب: فدًى لك...، فهل يظن بفاضل أن بعد العليا شيئا يرام؟ فإذا خطبته وما مد لها كفا، كيف يكون استغنى عنها؟**

---

[1] - انظر *الرحلة* ١/ ٢٠.
[2] - *نفحة الريحانة*، ج٤، ص٣٦٧.
[3] - ''إبراهيم الخياري ورحلته: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، '' ص١٨٥. والنص الذي أُعجب به الفاسي مدوَّن في ملحق البحث ص١٦٩ .
[4] - *الرحلة* ١/ ٣٤٣. والتعليق في الحاشية رقم ١٣١٣. ونقاط الحذف من المحقق.
[5] - ١/ ١٠٣- ١٠٥، والتعليق هو في الحاشية رقم ٤١٥. ونقاط الحذف في البيتين من عندي، لأنه أورد البيت الثاني للخياري، والبيت الأول للحسيني. وقد أوردتهما قبل النص. كما أن هذين النصين سيردان كاملين مع دراسة فنية للأخير. انظر ص٥١ وما بعدها.